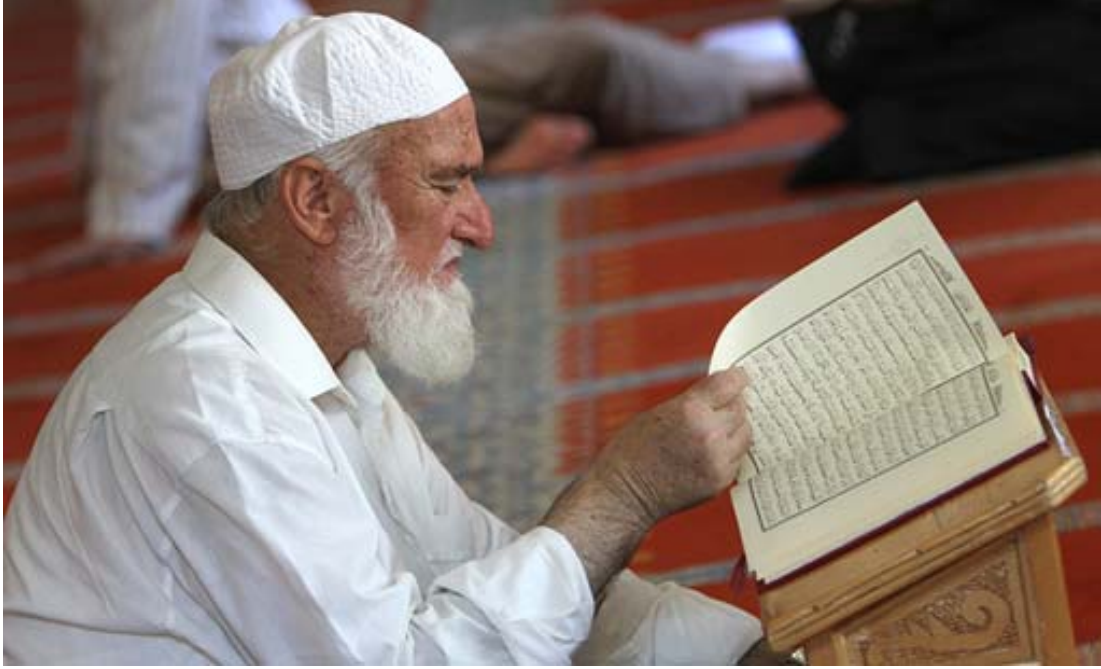


التفكر في آيات القرآن الكريم



«القرآن الكريم آخر كتاب أنزله الله على عباده، وكل إنسان يعيش فوق هذه البسيطة ملزم بتعلم القرآن وتنفيذ الأوامر المنزلة فيه. ومع أن معظم الناس يقرّون بأزّه كتاب مقدس فإنّهم لا يتدبّرون آياته، ولا يتفقّهون في ما نزل فيه، ولا يطبّقون ما أمرهم الله به من خلاله، فهم يكتفون بمعرفة القرآن من خلال المعلومات التي يحصّلونها من هنا وهناك، في حين أن أهمية تفكّر الإنسان في القرآن ومكانته أمر عظيم.

فقبل كل شيء، من يتدبّر القرآن سيرغب في معرفة خالقه وخالق هذا الكون الذي يعيش فيه، من أعطاه الحياة عندما كان عدماً، وأنعم عليه بنعم وأمر جميلة لا تُعدّ ولا تُحصى، ليسلك السبيل الذي يرضيه سبحانه وتعالى. والقرآن الذي أنزله الله على رسوله (ص) هو خير مرشد إلى هذا السبيل. من أجل ذلك يحتاج الإنسان إلى معرفة الكتاب الذي أرسله الله والتفكّر في كل آية من آياته حتى يميز الخبيث من الطيّب، وينفذ أوامر الله كما يحبّ سبحانه ويرضى.

ويذكر الله تبارك وتعالى الغاية من إنزال القرآن فيقول: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (ص/ 29).

(كَلَّا إِنَّ زُجْجَةَ تَذَكُّرَةٍ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) (المدثر/ 54-56).

كثير من الناس يقرؤون القرآن ولكنهم يغفلون عن أهم هدف من وراء القراءة، وهو تدبّر كل آية، واستخلاص العبر والدروس منها، وتطوير سلوكنا وفقاً لما استخلصناه.. فمن يقرأ - مثلاً - قوله تعالى:

(فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح/ 5-6). ويتدبر معناه سوف يفهم أن الله جعل لكل عسر يسرا، ولذلك فإنّه لو مر بعسر فما عليه إلا أن يثق بأن الله سوف يجعل معه يسرا. وإذا كان هذا وعد من الله لنا فحريّ بنا أن ندرك أن اليأس والامتناء بالهلع في اللحظات الصعبة، إنما هو دليل على ضعف في إيماننا، ولذلك يجب علينا بعد قراءة هاتين الآيتين وتدبر معناه، أن نكيّف تصرّفاتنا بمقتضاها طوال حياتنا.

وفي القرآن أيضا يذكر الله قصصا من حياة الرّسل والأنبياء الذين عاشوا في الماضي، ليدرك الناس كيف كانت حياة وتصرّفات وحديث مَنْ رضي الله عنهم، فيتخذهم قدوة. ويأمرنا الله تعالى أن نتفكّر في قصص هؤلاء الأنبياء ونستخلص منها العبر فيقول: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) (يوسف/ 111).

(وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) (الذاريات/ 38).

(وَأَنزَجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ) (العنكبوت/ 15)، "النبي" المشار إليه في هذه الآية هو نوح (ع).

كما أن في القرآن ذكر للأُمم الغابرة، وأحوالهم والكوارث التي أنزلوها على أنفسهم. ومن الخطأ الجسيم قراءة الآيات المتعلقة بما حدث لهم من باب السرد التاريخي البحت؛ لأنّ الله تعالى أنزل هذه الآيات - كما غيرها - لتتدبّر بها ونصلح أنفسنا من خلال الاتعاظ بما حل بهذه الأُمم. (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْكُمْ شَيْءٌ يَّتَذَّرُ) (القمر/ 51).

(وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرًا * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْكُمْ شَيْءٌ يَّتَذَّرُ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْكُمْ شَيْءٌ يَّتَذَّرُ) (القمر/ 13-17).

لقد أنزل الله القرآن هاديا للبشر، ولذلك فإنّ التفكّر في آياته، والعيش بمقتضى ما في كلّ آية من دروس وتحذيرات هو السبيل الوحيد إلى رحمة الله وقبوله لنا ودخول جنته.

ألا يدعو الله الناس للتفكّر فيه من خلال القرآن الكريم؟

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل/ 44).

هناك الكثير من الدروس في خلق الإنسان لقوم يتفكرون.

في هذه الآية الكريمة - كما في غيرها من الآيات - يدعو الله الناس إلى التفكّر. فالتفكّر والتدبّر، وإدراك الغايات الخفية، والإعجاز في خلق الله، عبادة بحدّ ذاتها. فكلّ موضوع نتفكّر فيه يعيننا أكثر على فهم وتعظيم قدرة الله وعلمه وإبداعه، وغيرها من صفاته سبحانه وتعالى.

الله يدعو الإنسان إلى التفكّر في خلقه:

(وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مِتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنزَلْنَا خَلْقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) (مريم/ 66-67).

ويدعو الناس إلى التفكير في خلق الكون:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُجُولِ
السَّيِّ تَجْرِي فِي الْبِحَارِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ مَاءٍ فَأَنْحَا بِهَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ) (البقرة/ 164).

ويدعوهم إلى التفكير بالطبيعة الفانية لهذه الحياة الدنيا:

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ
بِهِ نَجَاتٌ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنْزَلْنَاهَا أَنْهَلُهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا
لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (يونس/ 24).

(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ
ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة/ 266).

وإلى التفكير في ما هم فيه من نعمة ورحمات:

(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ جَعَلَ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الرعد/ 3).

(وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَرْضِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الرعد/ 4).

ويدعو الإنسان للتفكير في أن هذا الكون كله مسخر له:

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الجاثية/ 13).

(يُنْذِرُ لَكُمْ فِيهِ الزَّيْرَعِ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِمَّا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبِحَارَ لِيَتَأْكُلُوا
مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ
مَوْاخِرَ فِيهِ وَلِيَتَبَتَّغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ
وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)
(النحل/ 11-17).

ويدعو الناس إلى التفكير في أنفسهم:

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) (الروم / 8).

ويدعوهم إلى التفكير بالقيم والأعمال الصالحة:

(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَفِيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُوا نَفْسًا وَلَا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ) (الأنعام / 152).

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل / 90).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النور / 27).

وأيضا يدعو الناس إلى التفكير في الآخرة، والساعة ويوم الحساب:

(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُخَذَّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران / 30).

(وَإِذْ كُنتُمْ عِبَادَنَا ابْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) (ص / 45-46).

(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهَاهُمْ) (محمد / 18).

ويدعو الإنسان إلى التفكير في كل ما خلقه من كائنات حيّة:

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنََّّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل / 68-69).

ويدعوه إلى التفكير بالعقاب الذي قد ينزل به فجأة:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الأنعام / 40).

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَأَخَذَ مِنْكُمْ الْآيَاتِ لَأَذِلَّةٌ لَّهُمْ فِي ذَٰلِكَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (النحل / 68-69).

ثُمَّ هُمْ يَصْدَفُونَ (الأنعام / 46).

(قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّيْلِ بَغْثَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام / 47).

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُمْ بَيَاطًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ) (يونس / 50).

إِنَّ مَنْ يَتَفَكَّرَ يمكنه أن يرى معالم استثنائية في الكائنات الحيّة التي خلقها الله، وبهذه الطريقة يمكنه الوصول إلى معرفة قدرة الله وعلمه اللامحدودين.

(أَوَلَا يَرْوُونَ أَنِ النَّهْمُ يُفْغِتَنُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ) (التوبة / 126).

(وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (القصاص / 43).

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر / 51).

(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيْنِ وَنَقَمْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) (الأعراف / 130).

ويدعوه إلى التفكّر في القرآن..

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُوا عِنْدَ غَيْرِ اللَّيْلِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء / 82).

(أَفَلَا يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ) (المؤمنون / 68).

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (ص / 29).

(فَإِنْ زَمَّ مَا يَسْسُرُونَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (الدخان / 58).

(كَلا إِنَّ زَنْهَهُ تَذَكُّرَةً * فَهَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ) (المدثر / 54-55).

(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) (طه / 113).

والرسل دعوا قومهم الذين لا يفقهون إلى التفكّر:

(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ

إِنِّي مَلَائِكُ إِنِّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (الأنعام / 50).

(وَدَّاجِبَهُ فَوَّضَهُ قَالِ أَتَدْعَا جُوزِي فِي اللّٰهَ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (الأنعام / 80).

والله يدعو الناس إلى مقاومة تأثير الشيطان:

(وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغِيَةِ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ) (الأعراف/ 200-202).

وَيَشْجَعُ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الْقُرْآنَ عَلَى التَّفَكُّرِ بَعْمَقٍ:

(اِذْ هَبْ ۚ اَنْزَلَتْ وَاَخْلُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَجِدْ لِي فِي ذِكْرِي * اِذْ هَبْنَا اِلَيْكَ فِرْعَوْنَ
اِنْ نَزَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْلًا لَّعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَى) (طه/ 42-44).

ويدعو الناس إلى التفكّر في الموت والأحلام:

(۱۱) يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ
الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الزمر/ 42) ►

المصدر: كتاب التفكر^٣ العميق